بينهما فقال) الطَّلب ان كان من الأعلا للأدنى فهو أمرٌ وان كان من الأدنى للأعلا لمن هو دونه سمي الطَّالب شافعاً والمطلوب منه مشفوعاً اليه والمطلوب لهُ مشفوعاً لهُ والشيء مشفوعاً فيه وكل شافع فهو داعٍ وسائلٌ وطالبٌ وراغبٌ وكل مشفوعٍ اليه فهو مدعوٌّ ومسئولٌ ومرغوبٌ اليه هذا كلامهُ . فشرط في تسميتها شفاعة ان يكون الشافع دون المشفوع اليه وحينئذ فقول بريرة (رضه) أتشفع أم تأمر لم يرد حقيقة الشفاعة لفقدان شرطها بل المعنى أتأمر امر تخيير وقوله بل أشفع اي بل اخيرك ولم تفهم بريرة غير ذلك وإطلاق الشفاعة على التخيير مجازٌ لما بينهما من عدم الايجاب في الموضعين ويجوز ان تكون هذه الشفاعة شفاعة عرضٍ لم يُقصد فيها حقيقة الطلب بل قصد بها اختيارُ ما عند الغير فالنبي صلى الله عليه وسلم عرضَ هذه المسئلة لينظر هل لها رغبةٌ في زوجها فيأمرها بردّه فلمَّا قالت لا حاجة لي فيه ظهرَ لهُ كراهتها لهُ فلم يأمرها بالردّ ونظير ذلك أمر العزم وامر الإكرام وامر العرض — فامر العزم يُقصد به حقيقة الطلب والحتم وامر العرض بخلاف ذلك ومن امر العرض قوله تعالى (إنَّا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها) قال العلماء رضي الله عنهم — ركَّب الله في هذه الجمادات فهماً وعرض عليها الامانة وهي التكاليف الشرعية واعلمها ما للمطيع وما على المخالف فامتنعت من حملها شفقةً ومخافةً لا معصية ومخالفةً — قالوا وكان هذا امر عرض لانه لو كان عازماً لما خالفت — وامر الاكرام كقولك (إجلس على البساط) فهذا هو الجواب الصحيح المتعيّن وليس فيه ان بريرة رضي الله عنها ردَّت شفاعته صلى الله عليه وسلم — والحمد لله على ما بيَّن وألهم . وكشف من الغطاء ما اشكل واظلم . والحمد لله وحده (سوآل)

في قوله تعالى (انظر كيف فضَّلنا بعضهم على بعضٍ الآية (١) إن قيل لأيّ معنى لم يخلق الله تعالى الخلق متساوين في الحسن والغنى والجمال (قيل) ليعرف الشريف ما عليه من النعمة وعظم المنَّة لأن الاشياء انما تعرف باضدادها كما قيل (والضد يظهر حسنه الضدّ) فبالفقير يتبيَّن مقدار الغنى وبالقبح يتبين مقدار الجمال وبالتقهم يتبين مقدار العافية — وقد اوضح ذلك كله ما رواه الإمام احمد في المسند عن أُبيّ بن كعب في قوله الله عزَّ وجل (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) قال جمعهم فجعلهم أرواحاً وصوَّرهم فاستنطقهم فتكلَّموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على انفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى قال فإني أُشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأُشهد عليكم أباكم آدم عليه السلام أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم هذا أعلمتم أنهُ لا آله غيري ولا ربَّ غيري فلا تشركوا بي شيئاً إني سأرسل اليكم رسلي يذكّرونكم عهدي وميثاقي وأُنزل عليكم كتبي — قالوا شهدنا بأنك ربُّنا وإلهنا لا ربَّ لنا غيرك ولا آله لنا غيرك فأقرُّوا بذلك ودفع اليهم آدم ينظر اليهم فرأى الغنيَّ والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال (يا ربِّ لم لا سوَّيت بين عبادك) قال (إني أحببت أن أُشكر ورأى الانبياء فيهم مثل السُّرج عليهم النور خُصُّوا بميثاق آخر في الرسالة والنبوَّة وهو قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الى قوله تعالى وعيسى بن مريم) كان في تلك الارواح فأرسله الى مريم — فحدث عن أُبيّ أنه دخل من فيها (سوآل) في قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه — إنكم في زمان علماؤه كثيرٌ خطباؤه قليلٌ من ترك فيه عُشر ما يعلم هوي أو قال (هلك)

(١) في بعض النسخ — قوله تعالى (ولقد فضَّلنا بعض النبيين على بعض الآية) فليحرر اه . مصحح

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)